



تراث العلماء المسلمين العلى في الهند وعنايتهم باللغة العربية

السيد ابي الحسن على الحسنى الندوى

كان المسلمون في الهند أوفياء لوطنهم لايتشاعلون عن خدمته والتقدم به في ميادين العلم والصناعة والمدنية، أوفياء لدينهم وثقافتهم الاسلامية العربية لايتخلفون عن ركبا ولاينقطعون عنها. وقد زراهم في بعض فترات التاريخ في مقدمة القافلة وماخذ الزمام.

إن الجمع بين ثقافتين تتناقضان كثيرا وتلتقيان قليلا، وإن الوفاء لوطنين - مادي وروحي - مهمة عسيرة لانعرف شعبا من شعوب الاسلام كلف نفسه بها ثم نجح نجاح مسلى الهند.

إن مؤلفات المسلمين في الهند في العلوم الاسلامية لا تحصى كثرة، وذلك موضوع كتاب كبير ككتاب الفهرست لابن النديم أو كشف الظنون للجلسى. وجولة في كتاب «الثقافة الاسلامية في الهند، للعلامة السيد عبد الحى الحسنى تدل على مركز الهند العلى وقسط علمائها ومؤلفيها في حركة التأليف والنشر، واقتصر هنا على الكتب التى تخطت شهرتها حدود الهند وسارت بها الركبان، واحتفى بها علماء العرب وأخص منها ما ألف باللغة العربية.

من هذه الكتب العالمية كتاب «العباب الزاخر» للامام حسن بن محمد الصفانى اللاهورى من رجال القرن السابع الهجرى الذى عد من مراجع اللغة العربية وغرر كتبها. وقد اعتنى به أئمة اللغة قديما وحديثا واعترفوا له بالدقة والاتقان وغزارة المادة، واعترفوا لصاحبه بالفضل والامامة في هذا الشأن، قال السيوطى: إنه كان حامل لواء اللغة وقال



الذهبي: إن إليه المنتهى في اللغة، وقال الدمياطى: إنه كان إماما في اللغة والفقه والحديث. وكذلك كتابه ومشارك الأناوار، في الحديث من الكتب المشهورة المقبولة في العالم الاسلامى. وقد ظل مدة طويلة من كتب التدريس.

ومنها كتاب «كنز العمال» للشيخ على بن حسام الدين المتقى البرهانپورى من رجال القرن العاشر، وهو ترتيب جمع الجوامع للسيوطى وهو من الكتب التى انتفع به علماء الحديث كثيرا، واعترفوا لصاحبه بمجهود عظيم وورع عليهم وقتنا كبيرا وأغنام عن مراجعات كثيرة، قال الشيخ أبو الحسن البكرى الشافعى من أئمة العلم في الحجاز في القرن العاشر: إن للسيوطى منة على العالمين وللمتقى منة عليه.

ومنها كتاب «مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل واطائف الأخبار» للشيخ محمد طاهر الفتى (م ١٩٨٦ هـ) قال العلامة السيد عبد الحى الحسى في «نزهة الحواطر»، جمع فيه المؤلف كل غريب الحديث، وما ألف فيه بقاء كالشرح للصحاح الستة، وهو كتاب متفق على قبوله بين أهل العلم منذ ظهر في الوجود، وله منة عظيمة بذلك العمل على أهل العلم وكذلك كتابه «تذكرة الموضوعات»، من الكتب السائرة المتداولة في الموضوع.

ومنها الفتاوى الهندية التى تعتبر من المراجع الفقهية الكبرى التى عليها العمدة في كثير من الأقطار الاسلامية التى تحكم بالفقه الحنفى. يقول صاحب الثقافة الاسلامية في الهند:

أما الفتاوى العالمية الكبرية ويسمونها الفتاوى الهندية فهى من أجلها وأنفعها (أجل الفتاوى والمجاميع) في كثرة المسائل وسهولة العبارة

وحل العقد، وهى التى اشتهرت فى بلاد العرب والشام ومصر القاهرة بالفتاوى الهندية، وهى فى ست مجلدات كبار رتبوها على ترتيب الهداية، واقتصروا فيها على ظاهر الرواية ولم يلتفتوا إلى النوادر إلا إذا لم يجدوا جواب المسئلة فى ظاهر الرواية أو وجدوا جواب النوادر موسوماً بعلامة الفتوى، ونقلوا كل عبارة معزوة إلى كتابها ولم يغيروا إلا لداعى ضرورة، وقد ولى السلطان اورنگ زيب عالمگير التيمورى أنار الله برهانه الشيخ نظام الدين البرهانپورى فى أوائل سلطنته تدوينها باستخدام الفقهاء الحنفية، وبذل على تدوينها مائتى الف ربية .

وقد ذكر المؤلف أربعة وعشرين رجلاً من كبار علماء الهند فى ذلك العصر ساهموا فى تدوينها، وكان أربعة منهم وهم القاضى محمد حسين الجونبورى المحتسب، والشيخ على أكبر الحسينى اسعدالله خانى، والشيخ حامد بن ابى الحامد الجونبورى والمفتى محمد اكرم الحنفى اللاهورى قد تولوا ارباعها، لكل واحد منهم الاشراف على ربيع الكتاب .

ومنها مسلم الثبوت فى أصول الفقه للعلامة محب الله بن عبد الشكور الحنفى البهارى (م ١١١٩ هـ)، وقد رزق القبول العظيم فى الأوساط العلمية المدرسية فى الهند وبلاد الاسلام، وتناوله كبار العلماء فى عصورهم بالتدريس والشرح، وكانت له عشرة شروح لكبائر الأساتذة والفضلاء فى الهند .

ومنها كتاب «كشاف اصطلاحات الفنون»، للشيخ محمد أعلى التهانوى من رجال القرن الثانى عشر، كتاب عظيم النفع، تلقاه المشتغلون بالعلم فى بلاد العرب بالقبول، وأثنوا عليه لأنه كمعجم للمصطلحات العلمية يفتى عن

(١) مائتا الف روبية هندية تسارى نحو خمسة عشر ألفاً ١٥٠٠٠ من الجنيهات . وقيمتها فى هذا العصر

أكثر من مائة ألف جنيه .

مراجعة آلاف من الصفحات ومئات من الكتب، وهذا موضوع لم يكن فيه كتاب كبير على شدة الحاجة إليه ولا يزال المرجع الوحيد للفضلاء والمؤلفين والباحثين في هذا الشأن.

وفي هذا الموضوع كتاب آخر وهو جامع العلوم المشهور « بدستور العلماء » في أربعة مجلدات للشيخ عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري من رجال القرن الثاني عشر أيضا.

ومنها بل من أعظمها، كتاب « حجة الله البالغة » للامام ولي الله الدهلوي (م ١١٧٦) في أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الاسلامي، وهو كتاب مبتكر في موضوعه لا يوجد له نظير في المكتبة العربية على سعتها وقد أجله علماء هذا الموضوع، وأعيد طبعه في مصر مرارا.

ومما تجب الإشارة إليه أن هذا الكتاب يتسم بصناعة العربية، وقوة العبارة وانسجامها وبعدها عن السجع البادر وتقليد أسلوب الحريري الذي كان متفشيا في عصره ومصره، وقلما نجا منه مؤلف وكاتب في القرون الأخيرة وهو يعد بحق المثال الثاني للنثر الطبيعي السلس والتعبير العلمي العاصر بعد مقدمة ابن خلدون في عصور انحطاط العربية وغلبة العجمة والصناعة على الكتاب والمؤلفين في العالم الاسلامي.

ومنها كتاب « تاج العروس في شرح القاموس » للسيد المرتضى بن محمد البلكرامى المشهور بالزبيد (م ١٢٠٥) الذي هو أشهر من أن يعرف، وهو مكتبة لغوية علمية عظيمة في عشرة مجلدات كبار، وقد اشتهر أمر هذا الكتاب في حياة صاحبه فاستكتب منه الخليفة العثماني نسخة، وسلطان دار فور نسخة، وملك المغرب نسخة، وطلب منه أمير



• ثرات العلماء المسلمين العلى فى الهند وعنايتهم باللغة العربية

اللواء محمد بيك أبو الذهب نسخة وجعلها فى مكتبة مسجده الذى أنشأه بالقرب من الأزهر وبذل فى تحصيله ألف ريال .

وقد نبغ فى الهند فى القرن الرابع عشر الهجرى مؤلفون فاقوا فى العالم الاسلامى - كآه فى سرعة التأليف وكثرة المؤلفات وضخامة الانتاج وكان كل واحد منهم مجعاً عليهما نشيطاً وقد قام بعضهم شخصياً بما لا تقوم به مجامع عليية فى أكثر الأحيان ، فالأمير صديق حسن بن أولاد حسن القنوجى أمير بهوپال (م ١٣٠٧) يبلع عدد مؤلفاته اثنين وعشرين ومائتى كتاب (٢٢٢) منها ستة وخمسون (٥٦) كتاباً فى اللغة العربية وفيها كتب كبار ذات قيمة عليية منها « فتح البيان فى تفسير القرآن ، فى عشرة مجلدات كبار ، وأبجد العلوم ، والتاج المكمل ، والبلغة فى أصول اللغة ، والعلم الخفاق من علم الاشتقاق .

ويبلغ عدد مؤلفات علامة الهند نجر المتأخرين الشيخ عبد الحى بن عبد الحلیم اللكنوى (١٣٠٤) مائة وعشرة كتب (١١٠) منها ستة وثمانون (٨٦) كتاباً بالعربية من أشهرها وأجملها « السعاية فى شرح الوقاية » ، و « مصباح الدجى » ، و « التعليق الممجى » ، و « ظفر الأمانى » .
ويبلغ عدد مؤلفات المصلح الكبير والمربى الشهير مولانا أشرف على التهانوى (م ١٣٦٢) تسعمائة وعشر (٩١٠) منها الصغير والكبير منها ثلثة عشرة (١٣) كتاباً بالعربية .

واللعلامة محمود حسن خان التونكى (م ١٣٦٦ / ١٩٤٧) كتاب عظيم سماه « معجم المصنفين » ، هو كدائرة معارف فى هذا الموضوع فى نحو ستين مجلد محتوى على عشرين ألفاً من الصفحات المطبوعة وعلى تراجم أربعين ألفاً من



المصنفين ، وناهيك من سعة الكتاب واستقصائه أن فيه تراجم ألفين من المؤلفين كلهم بسمون أحد ، وقد لخص في كتابه نحو ألف وخمس مائة من الكتب ، وذكر كل من ترك بالعربية كتابا منذ بدء العهد التاليفي إلى سنة ١٣٥٠ هـ وظهرت منه أربعة أجزاء طبعت في بيروت على نفقة حكومة حيدرآباد ، والأجزاء الباقية محفوظة في المكتبة الآصفية بحيدرآباد .

ومن كبار مؤلبي هذا العصر وكتابه العلامة السيد سليمان الندوي (م ١٣٧٣ هـ) الذي خلف مكتبة كبيرة من مؤلفاته في السيرة النبوية والشريعة الإسلامية ، والتاريخ والأدب ومجموع ما طبع يبلغ نحو ستة آلاف صفحة غير مقالاته وشدرااته التي كان يكتبها كل شهر في مجلة «معارف» التي تعتبر أرق مجلة علمية في الهند وأجوبته وفتاواه العلمية وهو يستحق أن يعد من كبار المؤلفين والمحققين الباحثين في الشرق .

ومن كبار المؤلفين أيضا الدين عرفوا باقتدار على التأليف وسيلان القلم وغزارة المادة وسعة المعلومات العلامة مناظر أحسن الكيلاني (م ١٣٧٥ هـ) صاحب «النبي الخاتم» و«تدوين الحديث» و«نظام الإسلام الاقتصادي» و«نظام التعليم والتربية» وغيرها ، وقد خلف مكتبة عامرة من مؤلفاته .

وقد عرف علماء الهند بشغفهم بالعلوم الدينية وانتهت إليهم رئاسة التدريس والتأليف في فنون الحديث وشرح متونه ومجاميعه وسلت زعامتهم في هذا الموضوع في العهد الأخير حتى قال العلامة السيد رشيد رضا منشئ مجلة المنار في مقدمة مفتاح كنوز السنة : «لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لفضى عليها بالزوال من



أعصار الشرق، فقد ضعفت فى مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة.

والعلماء الهند فى هذا العصر مؤلفات جليمة فى فنون الحديث وشروح تلقيها للعلماء بالقبول، منها دعون المعبود فى شرح سنن أبى داؤد، للشيخ محمد أشرف الدبانوى، و«بذل المجهود فى شرح سنن أبى داؤد، أيضا للشيخ خليل أحمد السهارنفورى، و«تحفة الأحوذى فى شرح سنن الترمذى، للشيخ عبد الرحمان المبارك فورى، و«فتح الملهم فى شرح صحيح مسلم، للشيخ شبير أحمد الديوبندى، و«أوجز المسالك إلى شرح موطا الامام مالك، للشيخ محمد زكريا الكاندهلوى، و«فيض البارى، إفادات للعلامة أنور شاه الكشميرى على صحيح البخارى لاتزال عمدة ومرجعا لطلبة هذا الفن الشريف وعلماؤه.

ومن الكتب التى اعتنى بها العلماء فى الأقطار الاسلامية وعدوها من خيرة ما كتب فى الموضوع كتاب «إظهار الحق» للشيخ رحمة الله الكيرانوى (م ١٣٠٩هـ) و«فقه اللسان» للقاضى كرامة حسين الكنتورى (م ١٣٣٥هـ) و«الامعان فى أقسام القرآن» للعلامة حميد الدين القراهى و«جهرة البلاغة» و«رسائل فى تفسير سور من القرآن» تدل على عمق فكره ودقة نظره واطلاعه الواسع على التوراة والانجيل وتضلعه من علوم العربية والبلاغة.

ولم يزل شعار المسلمين فى الهند منذ العهد الاول الاعتراف الكامل باللغة العربية والتعصب لها، وقد حافظوا عليها كافة التأليف والعلم وكان فيها شعراء مفلقون كالقاضى عبد المقتدر الكندى الدهلوى (م ٧٩١هـ)

والشيخ أحمد بن محمد التهانيسرى (م ١٨٢٠هـ) والشيخ غلام على آزاد
البلكرامى صاحب السبع السبارة، (م ١٢٠٠هـ) والمفتى صدر الدين
الدملوى (م ١٢٨٥هـ) والشيخ فيض الحسن السهارنبوى (م ١٣٠٤هـ)
والشيخ ذو الفقار على الديوبندى (م ١٣٢٢هـ)، وأدباء محققون كالأستاذ
عبد العزيز الميمنى والشيخ أبو عبد الله محمد السورتى .

ولا يزال المسلمون متمسكين باللغة العربية يدرسون أمهات كتبها
في مدارسهم التى يسمونها المدارس العربية، ويؤلفون ويكتبون فيها وقد
أصدروا فى فترات مجلات وصحفا عربية تدل على عنايتهم بهذه اللغة
ونشرها وإحيائها منها مجلة البيان الشهرية التى كانت تصدر من لكناؤ
ومنها صحيفة الجامعة الأسبوعية التى كانت تصدر من كالكاتا . وكان
رئيس تحريرها مولانا أبوالكلام آزاد رئيس المؤتمر الوطنى بعد ووزير
المعارف فى الحكومة الهندية بعد ذلك، ومنها مجلة الضياء الشهرية التى
كانت تصدر من ندوة العلماء فى لكناؤ ونالت إعجابا وتقديرا فى الأوساط
العلمية والأدبية فى البلاد العربية، منشئها المرحوم الأستاذ مسعود عالم
الندوى، ولا تزال مجلة البعث الإسلامى، لسان حال الدعوة الإسلامية
ورائد الفكرة الإسلامية تصدر من ندوة العلماء وصحيفة الرائد الندوية
الأسبوعية تنشؤها طلبة دارالعلوم ويكتبون فيها .

وقد خرجت دارالعلوم التابعة لندوة العلماء طائفة من الكتاب
البارعين فى اللغة العربية وأوجدت نشاطا أدبيا ملحوظا فى الهند،
ومحصولا ذاقية أدبية لاتجمل لمورخ الأدب العربى أن يغفله إذا أراد أن
يستوعب الحركة الأدبية فى الأقطار الإسلامية ويذكر مدارسها المختلفة .